

والمكان والأشخاص إلا ما تقتضيه القصة من التوسع في الوصف بما لا تأثير له على الحقيقة بل هو يزيدا بياناً ووضوحاً ، بما يتخللها من وصف العادات والأخلاق ، (٥١) .

وأعود فأقرر اننا نرى إصراراً غريباً على هذه النقاط : أن جرجي زيدان يمثل القصة التاريخية في أول مراحلها وأنه يكتفي بجمع المادة التاريخية في محاولة لإحياء صورة الماضي ، وأنه باحث تاريخي حتى إن قصصه التاريخية يمكن الاعتماد عليه كما يعتمد على أي كتاب من كتب التاريخ فيما يتصل بالمادة التاريخية في رواياته .

وأحسب أن مؤرخي الأدب المعاصر ونقاده ممن قرروا ذلك قد قرأوا هذه الروايات في صباهم أو صدر شباهم حين كان الاهتمام منصرفاً بالدرجة الأولى إلى الخط العاطفي الذي تضمنه رواية زيدان التاريخية وحينئذ فإن تقويم المادة التاريخية في روية زيدان كان بعيداً عن مجال الاهتمام ، وحين أراد مؤرخونا ونقادنا هؤلاء ان يصدروا رأياً في هذه الروايات اکتفوا بأصداء خافتة من قراءات الصبا ، وبما يقرره المؤلف نفسه في مقدمات بعض رواياته ، فعدوها روايات تاريخ الإسلام كما ينص المؤلف على غلافها من الخارج وفي مقدمة بعضها حين يكتب مقدمة ، وفي تصديرها يثبت أسماء المراجع العربية الكبرى التي استقى منها مادته ، وساعدت على ذبوع ذلك وشيوعه أقلام لا تتحرى الحقيقة فيما تكتب . ولكن إذا أردنا الحقيقة بصرف النظر أو بسد السمع عن كل ما يذاع ويشاع فإن هذه الروايات ليست ... إلا ترجمة قصصية لما يردده بعض المستشرقين أو الحاسدين للتاريخ الإسلامي ، والذين يودون لو طمسوا كل صفحاته المشرقة .

فليست روايات تاريخ الإسلام التي قدمها جرجي زيدان إلا روايات المخازي والمعايب والفن والحلافات ، وليست رواية لأجداد هذا التاريخ ومفاخره ، كما هو الشأن في كل قصص تاريخي قومي تكتبه أقلام قوميّة ، وترى في بعث الأجداد والمفاخر حوافز إلى العزة والنهوض والتقدم على هدى الأجداد ، إن